وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة القادسيـــّة
كليّـــــة التربيـــة
قسم اللغـة العربيّـة

معجم تهذيب اللغة للأزهري (ت٣٧٠هـ)

دراسة في ضوء المنهجين الوصفي والمعياري

رسالة قدَّمتها الطالبة

إيمان عليوي نايف

إلى مجلس كلّية التربية – جامعة القادسيّة

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها / لغة

بإشراف

الأُستاذ الدكتور

لطيف حاتم عبد الصاحب الزاملي

١٤٣٦ هـ ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين الذي منح الصبر وأعان على إتمام هذا البحث المتواضع والصلاة والسلام على رسوله الصادق وعلى آله وسلم ، وبعد :

أقف الآن بعد هذه الرحلة الطويلة مع الأزهري في معجمه تهذيب اللغة على أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة :

١. **كما دعا المنهج الوصفي الحديث الى دراسة اللغة وهي مستقرة في زمان ومكان معينين ، ودراسة اللغة دراسة وصفية تقوم على الملاحظة الذاتية ، فإننا نجد أن العرب قد حددوا زمان الاحتجاج ، وحددوا اطلسهم اللغوي ، وجمعوا اللغة عن طريق الرواية والسماع ، والذي يُقصد به التلقي المباشر للغة من أفواه الناطقين بها بلا واسطة وسبيله الملاحظة .**

٢. **كان السماع المباشر هو الركيزة الاساس التي اعتمدها اللغويون – لاسيما الازهري– في بناء معاجمهم والسماع بدرجاته وتقسيماته المختلفة التي تناولتها في الفصل الأول ، وسبب ذلك أن معظم اللغويين في هذه الحقبة الزمنية (الى نهاية القرن الرابع الهجري) قد أخذوا اللغة مشافهة عن الاعراب الفصحاء في البادية ، أو من نقل عنهم من الثقات بالرواية ، وكان اكثر اهتمام الازهري بالمسموع من اللغة إيمانا منه بأن اللغة المجموعة عن طريق السماع المباشر هو المعين الرئيسي للاتصال المباشر بناطقي اللغة لملاحظة نطق التغييرات التي تطرأ على الظواهر اللغوية من الناطقين بها .**

لهذا اختلفت درجات السماع عندهم باختلاف الثقافة اللغوية ، والخبرات التي أكتسبها اللغوي في حياته ، فنحن نعلم أنّ كثيراً منهم قد قاسى رحلات الشتاء والصيف ، في البوادي والقفار ، وبطون الوديان ، خلف الاعراب المتنقلين يبحثون عن الغيث والكلأ ، ليحصلوا على المنبع الصافي ، الذي لا تشوبه شائبة من كلام العرب ، ومع ذلك فأنّ مالم يسمعه الازهري الذي لبث في قومٍ أسيراً خمسة عشر عاماً ، سمعه غيره من اللغويين كابن فارس والجوهري ، وقد يكون العكس .

٣. **أخذ المعجميون – لاسيما الازهري – من اللغويين الثقات بالإشارة اليهم صراحة ، أو إغفال ذكرهم رغبة في الاختصار ، وهذا أمرٌ فاشٍ في المعجمات ، فنجد أن بعض الاعلام يتكرر ذكرهم كثيراً في معجم تهذيب اللغة .**

٤. **كان الازهري ثبتاً في روايته ورعاً في ديانته يتحرى الصدق والامانة في السماع عن الأئمة المشهورين ، وأهل العربية المعروفين ، مما كان لذلك أثر بارز في اشتهار معجمه التهذيب ، وعدّه أصلاً من الأُصول .**

٥. قد كان لأسر الأزهري في فتنة القرامطة الأثر الأكبر في ثروته اللغوية، وتوجيهه إلى التأليف المعجمى ، إذ كان لوجوده بين هؤلاء العرب الفصحاء ، وتنقله معهم من مكان لآخر ، وسماعه لمخاطباتهم الأثر الكبير في تكوّن شخصيته اللغوية ونضوجها ، مما ساعد على جمع ثروة لغوية هائلة قوامها السماع ، والمشافهة ، والمشاهدة ، كما انه استفاد من الاسر في محيط اللغة ، ولهجة الخطاب ، والثروة اللفظية التي لم يكن قد اطلع عليها في كتب اللغة الأُخرى . وهذا من اهم المميزات التي امتاز بها الازهري على اقرانه وهذا ملمح وصفي يدل على أنه جمع اللغة المستعملة المتداولة عند العرب .

٦. الاسر يربي في قلب الإنسان روح التمرد ، مما جعله يتمرد على مرويات اللغويين الذين سبقوه ، فلا يقبلها إلا بعد وضعها على الميزان ، فإن صحت له سماعاً او رواية عن ثقةٍ قبلها ، وإلا ردّها ، كما أنه أراد أن يحط من شأن أصحاب المعجمات الأخرى، ليرغب الناس عنها ويميلهم إلى تهذيبه .

٧. كان الأزهري شديد الاعتماد على رؤيته ومشاهداته والسبب في ذلك أنه لبث سنين في الدهناء والصّمان والستارين ، وهي مناطق من هوازن وتميم واسد ، فشاهد ما أفاده ، ورأى وسمع من دون واسطة المسميات والمحاورات التي تجري بين الأعراب الأقحاح ، فحققت له فائدة عظيمة ، ولهذا يحتكم في كثير من المواقف لما شاهده وعاينه بنفسه في ديار الأعراب وبواديهم ، فالمشاهدة مبدأ من المبادئ التي بنى عليها توثقه مما كان يروي على لسان اللغويين والعلماء ، أو ما كان يسمعه من الأعراب أو يعرفه معرفة تحتاج الى تحقيق وإثبات ، كما أنها مدّت المعجم بالموثوق من المعاني لكثير من المفردات .

٨. أظهر البحث السمات الخاصة في منهج الازهري ، كان من أبرزها توثيق آراء العلماء وعزوها إلى قائليها ، فكان لا يورد رأياً إلاّ ويذكر صاحبه، مما جعل المعجم حافلاً بذكر العلماء الذين مثلّت آراؤهم ومذاهبهم مادة ثرية أضفت إلى المعجم شيئاً من الشمولية والسعة .

٩. على الرغم من موقف الأزهري من كتاب العين ، فقد وجدتُ التهذيب يحفل بمواضع كثيرة من العين سجّلها الأزهري في تضاعيف التهذيب ، وكان النقل فيها حرفياً ، وفي مواضع أُخرى يذكر النص مقتطعاً ، بالإضافة الى ترسَّمه منهج الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) الذي انتهجه في كتابه العين ، أي أن الأزهري لم ينج، تماماً، من سيطرة منهج الخليل في كمّه الإحصائي للغة؛ ذلك الإحصاء الذي يجمع بين ما سمعه الخليل وما نتج من التقاليب للمادة الواحدة. إذ رتب الأزهري مواد تهذيبه على مخارج الحروف، متبعاً منهج كتاب "العين"، وقد حاكاه في تقاليب الكلمة والأبنية .اي انه لم يأت بجديد من ناحية المنهج ،إنما الجديد كان في زيادة المواد إذ زاد على مادة العين والجمهرة كثيراً من المواد والمعاني .

١٠. لا يمكن الاستغناء عن السياق الاجتماعي في جمع اللغة ، فالأزهري جمع اللغة بالنظر الى محيطها الاجتماعي ، إذ اهتم بجمع اللغة الحية المنطوقة داخل سياقها الاجتماعي وهذا ملمح وصفي يؤكد على الوظيفة الاجتماعية للغة لأنها النشاط الاجتماعي للإنسان .

١١. كشف البحث أن مصطلح اللهجة الحديث كان يطلق عليه القدماء مصطلحات مختلفة منها اللغة واللسان واللحن ، وقد اقتصر الازهري في معجمه تهذيب اللغة على استعمال مصطلح (اللغة واللغات) .

١٢. معجم تهذيب اللغة فضلاً عن كونه معجماً لغوياً يمكن عدّه مصدراً مهماً من مصادر دراسة اللغة بما في ذلك حقل اللهجات من خلال رصد السمات اللهجيّة التي نسبها الازهري إلى القبائل العربيّة ، وتقييمها على أساس الواقع اللغوي ، وأساليب الأداء ، ومن خلال ما حواه المعجم من مادة لهجية قيمة مثلت مستويات الدرس اللغوي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية مشفوعة بآراء الكثير من علماء اللغة الذين نقل عنهم الأزهري ، واستقى مادته اللغوية واللهجية منهم ، فضلاً عن ابداء آرائه التي انفرد بها وترجيحاً لأقوال سابقيه بناءً على سماعه ومروياته.

١٣. دلت الشواهد اللهجية على ان القبائل العربية ليست على وتيرة واحدة في استعمال اللغة ، ففيها فروق لغوية واضحة المعالم، كما تدل على أن اللغات لم تكن عند الأزهري في التهذيب على مستوى واحد فهناك (اللغة الفصيحة ، والجيدة ، والعالية والقبيحة ، والرديئة) . واطلاق هذه الاحكام يدل على أنه ذو معرفة ثاقبة بلغات العرب وأسرار اللغة ودقائقها ، والذي هيأ له ذلك أسره ومعيشته واختلاطه بالأعراب والفصحاء .

١٤. شكل السماع المباشر وغير المباشر مادة مهمة وحيوية في تفرد هذا المعجم في كونه دليلاً قوياً من أدلة الاستشهاد باللهجات العربية ، وكان للقرآن الكريم حضور مهم ومتميز في شواهده ، فضلاً عن القراءات القرآنية التي مثّل جانباً منها لهجات العرب ، الى جانب الشواهد الأخرى من كلام العرب من شعر ونثر .

١٥. إن أهم الاختلافات بين اللهجات إنما هو طبيعة الأداء فيما إذا كان سريعاً أم متأنياً ، فمعظم الظواهر الصوتية والصرفية إنما تنشأ بسبب من طبيعة هذا الأداء ، فلكل قبيلة من القبائل العربية بيئتها الخاصة التي تؤثر في تكوين نظامها الصوتي .

١٦. يذكر الازهري – في كثير من الأحيان – المسائل اللغويّة من دون أن يفضّل مذهباً على آخر، فيأخذ ما يراه صحيحاً ، إذ كان موضوعياً في ردوده وفي موافقاته لآراء العلماء .

١٧. اتخذ الازهري موقف الراوي في أغلب المسائل اللغوية ، فكان يذكر المسألة واختلاف اللهجات فيها فقط من غير أن يبدي رأيه فيها ، وهذا يعد من أبرز سمات المنهج الوصفي .

١٨. اتخذ الازهري موقف الراوي في أغلب المسائل اللغويّة ، فكان يذكر المسألة واختلاف اللغويين فيها ، من غير أن يبدي رأيه فيها ، وهذا يعد من أبرز سمات المنهج الوصفي ، أو يكتفي بعرض الخلاف القائم بين النحاة في أغلب المسائل .

١٩. وفي الدراسة الصوتية كشف البحث أن :

(أ) القبائل الحضرية تميل الى التأني في نطق الاصوات ، والقبائل البدوية تميل الى عدم وضوح الاصوات ، والخلط بينها ، كما قد تؤثر كل منهما النطق بما هو ليس من خصائصها النطقية . وأن بعض القبائل العربية تميل الى قلب المتخالف الى مماثل ، وبعضهم على العكس من ذلك ، فكل قبيلة تسير في لغتها على مقدار يكافئ طبيعتها ، فما رفضته قبيلة أو قبلته فإنما يخضع لعامل الثقل حيناً والخفة أحياناً ، وهاتان الصيغتان لا تجمع عليهما جميع القبائل ؛ لأن مراتب الثقل والخفة متفاوتة .

(ب) ان الابدال في الأصوات اتسعت رقعته مما خلف مصطلحات كثيرة منها العنعنة ، كما ان اللهجات العربية لا تعرف الاطراد الدائم الذي لا يتخلف فما كان مكسوراً قد يُضم ، وما كان مضموماً قد يُفتح أو يكسر ... وهكذا .

ج- الغرض من الإدغام هو التخفيف والسهولة والتيسير في النطق والاقتصاد في الجهد العضلي ، لذا كان من مميزات القبائل البدوية التي سكنت وسط الجزيرة وشرقيها التي تميل إلى السرعة في الكلام ، لذا يمكن القول أن الفك والإدغام سمتان لهجيتان ، فالفك لأهل الحجاز ، والإدغام لأهل نجد .

٢٠- أما في الدراسة الصرفية :

أ- ظهر في البحث أنَّ الازهري لم يخرج في توجيهه للمسائل الصرفيّة عمّا اختطه الصرفيون السابقون ، بل أخذ يردد أقوالهم في الصيغ وتفرعاتها ومعانيها ، وعلى الرغم من ذلك لم يعدم رأياً قد يراه أو يرجحه على آراء الآخرين .

ب - يملي المنهج الوصفي في الدراسة الصرفية التحري عن اللواصق التصريفية واللواصق الاشتقاقية وتبين أن كثرة التفريعات في أبنية المشتقات ناتج عن اختلاف القبائل العربية بلهجاتها المختلفة في

استعمالها للأصوات لذلك نجد اللهجات تختلف فيما بينها في صور أدائها لهذه الأصوات ، إذ نرى أن هذه الأصوات تتحول من صورة إلى أخرى في اللهجات العربية التي تختلف باختلاف البيئات اللغوية، فقد تتحول الألف إلى الواو أو إلى الياء .

ج – إنَّ حذف بعض الاصوات وسيلة من وسائل تيسير النطق في لهجات القبائل البدوية ؛ كـ أسد وتميم وقيس وغيرها، وأثر من آثار السرعة في كلامهم . أما القبائل الحضرية فلا حاجة بها إلى حذف بعض الاصوات؛ لأن ما في نطقها من تأن يجعلها تعطي كلَّ صوت حقه من الأداء ، أدى ذلك الى ورود ألفاظ في التهذيب اقتصر استعمالها عند قبيلة دون أُخرى .

٢١- أما المجال النحوي ، فإن الظواهر اللهجية المنسوبة فيه قليلة جداً موازنة بالفصول الأُخرى :

(أ) ففي الظروف تبين أن اللهجات العربية اتسعت في استعمال (حيث) بتغيير الحركات ، أو قلب الياء واواً فتغيير آخر (حيث) أذن مرتبط باختلاف لغات العرب أما (لدن) المبنية جاءت في التهذيب مُعربة عند الكلابيين .

٢٢- ومما يلاحظ في المجال الدلالي أن :

أ - تعدد معاني اللفظة الواحدة ، وتعدد الألفاظ الدالة على المعنى الواحد ، وتضاد معنى اللفظة كلٌّ منها يمثل لهجة قبيلة عزاها التهذيب ، وبعضها أضافت إليه المصادر الأخرى نسبة الى قبائل أخرى ، وبعضها الآخر لم ينسب في التهذيب أنما نُسب في مصادر أُخرى ، الا أن الذي وجد في التهذيب في هذا الموضع هو أن الأكثر هو المنسوب ، فهذه الظواهر اللغوية (الترادف والمشترك والاضداد) ، إنما كانت نتيجة لدخول المستويات الدلالية للهجات القديمة في العربية الفصحى .